مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (2)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (2) 2017

ابْنُ عَربي التَّصَّوف

علــي محمد بدوي*

(تاريخ الإيداع 18 / 1 / 2017. قبل للنشر في 5 / 4 / 2017)

□ ملخّص □

التصوف: هو علم يقصد به تزكية النفوس وصفاء القلوب وإصلاح الأخلاق والوصول إلى مرتبة الإحسان.

فهذا العلم قد حاربته بعض الجهات لتدمير روح الإسلام والتوجه إلى الإشكاليات التي سعت إلى دمار الإسلام الوسطي المتسامح، وليس فقط كفكر بل حاربت رجالاته الذين كانوا لهم السابقة بنشر الفلسفة الدينية والتسامح الاجتماعي، ولا سيما ابن عربي ذلك الرجل الفيلسوف الذي ضاقت عليه الدنيا بما رحبت من أفكاره ونظرياته ومؤلفاته ورحلاته التي تحتاج لمجلدات للحديث عنها، وبالرغم من عظمة هذا العالم فقد ظهرت ثلة من المعارضين له الذين اتهموه بالكفر البواح وهو من ذلك براءة، وذلك لأنهم حملوا أفكاره ونصوصه على ظاهرها دون الوقوف على جوهر مراده وقصده.

* ماجستير– قسم التاريخ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة دمشق– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (2)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (2) 2017

Abin Arab and the sufism

Ali Mohammad Badawi*

(Received 18 / 1 / 2017. Accepted 5 / 4 / 2017)

□ ABSTRACT □

Sufism is a science intended to purification the souls and clean heart and reforming morality and access to the rank of charity .

This science has been fought by some groups to destroy the spirit of Islam and its orientation to the problems that have sought to destroy the moderate tolerant Islam, and not just as ideology but fought its statesmen who have previous publication of religious philosophy and social tolerance, especially Aben Arabe , the philosopher , who the world could not be enough to his ideas ,theories , writings and his trips that require volumes to talk about . Despite the greatness of this scientist a group of opponents ,who accused him of blasphemy outright from which so innocent, emerged . So they took up his ideas and texts on the face of it without standing on the essence of what he meant or wanted .

*Master, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University, Syria.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله أن وفقتنا سواء السبيل، فأنك نعم المولى ونعم النصير، وصلي وسلم على حبيبك الأعظم المبعوث رحمة للعالمين، ومنقذاً للإنسانية، وهادياً للبشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القدوة المثلى والأسوة الحسنة، وعلى آله وأصحابه الذين زكوا أنفسهم فأفلحوا، ونصحوا إخوانهم فنفعوا.

وبعد: فلقد مُني الإسلام منذ انبثاق فجره بخصوم ألدَّاء، حاولوا تهديم أركانه، وتقويض بنيانه، بشتى الأساليب ومختلف الوسائل. وما نعيشه اليوم من موجات تكفيرية و إلحادية، وتيارات إباحية، ترد إلينا من الشرق والغرب، تضلل العقول، وتفسد الأجيال، وتهدد مستقبلنا الفكري العقائدي بمصير أسود قاتم، وتنذر أمتنا بتدهور خطير، وشر مستطير، ولا يسع في هذا الجو المائج بالصراع الفكري، إلا أن نعتصم بحبل الله المتين، وننبذ الخلافات الفرعية الاجتهادية وربط القلوب بالله تعالى، لنستمد منه القوة والطمأنينة والعزة والكرامة.

وإذا كانت مهمة دعاة الإسلام المخلصين أن يعيدوا لهذا الدين روحه، وأن يفتحوا له مغاليق القلوب، فما قصد الصوفية في كل عصر وزمان إلا العودة بالمسلمين إلى ظلال الأنس بالله تعالى، ونعيم مناجاته، وسعادة قربه، بإرجاع روحانية الإسلام إليه.

وإذا كان خصوم الإسلام– والقصد بالخصوم تشمل حتى أولئك الذين ينتمون إليه – وبغطائه يقتلون ويدمرون وهؤلاء أشد من أولئك، فقد عملوا على تشويه معالمه، فوصموه بالجمود والقصور، واتهموا أتباعه بالرجعية والتأخر، ومن ثَمَّ صبوا عليه حملاتهم المغرضة بأساليبهم المدروسة المبتكرة؛ فتارة يشككون الناس في المذاهب الفقهية المعتمدة، وتارة أُخرى يطعنون في بعض رواة الحديث من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُقوضوا دعائم الإسلام، وحيناً يثيرون الشبهات حول المسائل الإيمانية؛ ليفسدوا عقائد الأمة.

إذا كان هذا المشهد واضحاً للعيان في شتى العصور، فإن الذي يثير الانتباه، ويلفت الأنظار الطعنُ المقصود، والهجوم العنيف على التصوف الإسلامي، وما ذلك إلا لأنه جوهر الإسلام، وروحه النابضة، وحيويته الفعالة، كيف لا، وهو علم محاسبة النفس وتهذيبها لتتخلى عن المعاصي وسوء الأخلاق، فأهل الحق من أتباعه على هدى ورشاد ولا ينقص من قدرهم وجود الفاسدين الذين ينتسبون إلى التصوف كما لا ينقص قدر المحدثين الصادقين وجود الكذابين المنتسبين إلى الحديث، فلقد أراد المبطلون تشويه معالمه، وتصويره سَبْحاً فلسفياً خيالياً، وضعفاً وزهداً وانعزالاً، وابتداعاً خرافياً، وهرباً من واقع الحياة ونضالها. ولكن الله تعالى قد أذن لدينه بالحفظ والبقاء، فتحطمت أقلامهم، وذهبت الريح بدعواهم، وبقي التصوف منارة السالكين إلى الله تعالى، ومنهجاً إيجابياً لنشر الإسلام، وتدعيم بنيانه، وما الفكر المضاد عنا ببعيد ولاسيما في أيامنا هذه ولاسيما موقعنا الجغرافي في بلاد الشام، ولو رجعنا إلى علماء الأمة في كتب التاريخ وفي كتب الطبقات لوجدناهم على منهج أهل التصوف، والأمثلة على ذلك كثيرة أمثال الجنيد البغدادي، والحارث المحاسبي، و أبو يزيد القيرواني، والحلاج، والسهروردي، وذي الجناحين مولانا خالد النقشبندي.

وصاحب هذا البحث الشيخ الأكبر ابن عربي الذي استطاع أن يقدم مثال الصوفي المعجزة الذي كان فريد عصره بما قال وبما أبدع من أقوال ومؤلفات ضاقت اللغة العربية بمفرداته عنها، وإذا ذكر هو وأقرانه من أهل التصوف الحق أثار منتقدوه ما يقع من أدعياء التصوف من انحرافات وبدع، وهما ضدان لا يجتمعان فهم أئمة وعلماء.

لهذا كله جاء هذا البحث للحديث عن التصوف، دفاعاً عنه، وتمييزاً لِلُبِّهِ من قِشْرِهِ، ولحقائقه مما علق به، وإظهاراً للحق، ودمغاً للباطل، مستنداً إلى كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقوال الأئمة رضي الله

عنهم، وأتباعهم من أعلام الفقهاء، والأصوليين والمُحَدِّثين، وأئمة الصوفية، ورجال الفكر الذين خدموا الإسلام خدمات حسنة، فمنه المبتدأ، وإليه المنتهى، وما توفيقي إلا بالله تعالى، عليه توكلت وإليه أنيب

- **أولاً_ ماهية التصوف وغايته.**

1. التعريف بالتصوف:

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾[1]؛ أي علماً خاصاً بنا لا يُعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيب. قال العلماء: هذا العلم الرباني ثمرة الإخلاص والتقوى، ويسمى «العلم اللدُنِّي» يورثه الله لمن أخلص العبودية له، ولا ينال بالكسب والمشقة، وإنما هو هبة الرحمن لمن خصَّه الله بالقرب والولاية والكرامة. [2] وجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»[3]

فَقَدْ شَرَطَ لِوِرَاثَةِ هَذَا الْعِلْمِ الْعَمَلَ بِعِلْمِ الدِّرَاسَةِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الِاكْتِسَابِ، وَهُوَ عِلْمُ الْأَحْكَامِ بَعْدَ أَحْكَامِ عِلْمِ التَّوْحِيدِ، وَهَذَا عِلْمُ الدِّرَاسَةِ، وَعِلْمُ الْوِرَاثَةِ: عِلْمُ آفَاتِ النَّفْسِ، وَآفَاتِ الْعَمَلِ، وَخِدَعِ النَّفْسِ، وَغُرُورِ الدُّنْيَا، وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ عَمِلَ بِعِلْمِ الِاكْتِسَابِ وَرَّثَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَهُوَ عِلْمُ الْإِفْهَامِ، وَفِي نُسْخَةٍ «عِلْمُ الْإِلْهَامِ»، وَالْفَرَاسَةِ الَّذِي هُوَ النَّظَرُ بِنُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّهُ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». [4]وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. [5]

فحالة الإحسان هذه ذوق وروح أعظم من أن تفسر بكلمة، وقديما قالوا –شتان ما بين العلم والشعور، يمر النبي بحارثة بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ فيقول لَهُ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟ » قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا. فَقَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ » فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي، وَاظْمَأْت نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا. فَقَالَ: «يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ» ثَلَاثًا. [6]

ولهذا كان النبي ﷺ يوجه اهتمام الصحابة لإصلاح قلوبهم ويبين لهم أن صلاح الإنسان متوقف على صلاح قلبه وشفائه من الأمراض الخفية، والعلل الباطنية. فكان يقول: " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " متفقٌ عَلَيْهِ. [7]

---

(1) سورة الكهف، اية 65.

(2) الصابوني (محمد علي): صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، ط 1، 1997، ج2، ص182.

(3) الكلاباذي(أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم ت 380هـ/990م): بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1420هـ /1999م، ص 99، السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ت 911هـ/1505م): الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تح: الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ص 192.

(4) الكلاباذي: بحر الفوائد المشهور بمعاني الاخبار، ص 99.

(5) النيسابوري(مسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيري ت 261هـ/874م): المسند الصحيح المختصر، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج1ص36.

(6) الطبراني(سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير اللخمي الشامي ت 360هـ/970م): المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد، دار مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، ج3ص266.

(7) النووي(ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف ت 676هـ/1277م): رياض الصالحين، تح: شعيب الارناؤوط، دار الرسالة، بيروت، ط3، 1998، ج1، ص207.

وإلى تهذيب النفس ويسميه الجهاد الأكبر روى الخطيب في تاريخه من حديث جابر قال: "قَدِمَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزَاةٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ". [8] وأقوى من هذا وذاك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾[9]. وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(10)﴾[10]

بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى بقي الحال على ما هو عليه إلى أواخر القرن الثاني الهجري/القرن الثامن الميلادي، ثم أخذ بالتنازل، وفشا حب الدنيا بين الناس، وانحرف الكثير منهم عن جادة الصواب مما أدى إلى ظهور طائفة عرفت بالزهد والعبادة قامت على هذا الأمر؛ أعني الجانب الإحساني أو التصوف أو التزكية، كظهور علم النحو والعقيدة لما انحرفت الألسنة عن سليقتها، وانتشرت العقائد الفاسدة مما أحوج علماء هذا الفن إلى تأصيله وتبويبه وذكر الأدلة.

باختصار حافظوا على علومهم كذلك لما فشا حب الدنيا وتكدرت النفس بالعلل والأمراض نهضت طائفة من خيار علماء الأمة فكتبوا وألفوا المصنفات، وسعوا بين الناس السعي الحثيث بتهذيب النفس وإصلاح القلب وصفاء الروح وضبط الأخلاق ظاهرا وباطنا، وأطلقوا عليه اسم علم التصوف، يؤكد ذلك ابن خلدون في مقدمته:(وصار علم الشّريعة على صنفين: صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الأحكام العامّة في العبادات والعادات والمعاملات، وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النّفس عليها والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفيّة التّرقّي منها من ذوق إلى ذوق وشرح الاصطلاحات الّتي تدور بينهم في ذلك) [11]. فلمّا كتبت العلوم ودوّنت وألّف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتّفسير وغير ذلك. كتب رجال من أهل هذا العلم في علمهم فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النّفس على الاقتداء في الأخذ والتّرك كما فعله القشيريّ في كتاب الرّسالة القشيرية، والسّهروردي في كتاب عوارف المعارف وأمثالهم. وجمع الغزاليّ رحمه الله بين الأمرين في كتاب الإحياء، فدوّن فيه أحكام الورع والاقتداء، ثمّ بيّن آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم، وصار علم التّصوّف في الملّة علماً مدوّناً بعد أن كان عبادة فقط، وكانت أحكامه إنّما تتلقّى من صدور الرّجال كما وقع في سائر العلوم الّتي دوّنت بالكتاب من التّفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك.

2. متى وجد التصوف:

سئل الشيخ محمد صديق الغماري رحمه الله تعالى عن أول من أسس التصوف، هل هو الوحي؟ فقال: اعلم أن هذا العلم أسسه الوحي السماوي؛ لأنه بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاث التي جعلها النبي ﷺ ديناً بعد ما بينها واحداً واحداً بقوله: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. [12]

---

(8) البغدادي(ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي الخطيب ت 463هـ/1070م): تاريخ بغداد، تح بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1423هـ/2002، ج15ص685.

(9) سورة الشعراء، 88، 89.

(10) سورة الشمس، 7، 8، 9، 10.

(11) ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ت 808هـ/1405م): ديوان المبتدأ والخبرفي تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ/1988، ج1، ص604.

(12) عيسى (عبدالقادر): حقائق عن التصوف، مطبعة البلاغة، حلب، ط 2، 1390هـ/1970م، ص22.

قال ابن خلدون في مقدمته: وهذا العلم – يعني التصوف – من العلوم الشرعية الحادثة في المِلَّة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم، طريقة الحق والهداية، وأصلها العُكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زُخْرُف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يُقبِل عليه الجمهور من لذة، ومال، وجاه، والانفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف، فلما فَشَا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وما بعده، اختصَّ المقبِلون على العبادة باسم الصوفية. [13]

3. ما هو علم التصوف:

التصوف: هو علم يقصد به تزكية النفوس وصفاء القلوب وإصلاح الأخلاق والوصول إلى مرتبة الإحسان، وإن شئت فسمه الجانب الروحي في الإسلام، أو الجانب الإِحْسَانيَّ، فالتصوف علمٌ يقصد به إصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عما سواه.

إذاً التصوف هو السعي بتزكية النفس للتوصل إلى سلامة القلب، والدليل على أهمية التزكية قول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾. وأما سلامة القلب فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله: التصوف علم تُعرَف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية. [14]

ويقول الشيخ أحمد زروق رحمه الله: (التصوف علم قصد لإصلاح القلوب، وإفرادها لله تعالى عما سواه. والفقه لإصلاح العمل، وحفظ النظام، وظهور الحكمة بالأحكام. والأصول "علم التوحيد" لتحقيق المقدمات بالبراهين، وتحلية الإيمان بالإيقان، كالطب لحفظ الأبدان، وكالنحو لإصلاح اللسان إلى غير ذلك)[15]

وقال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى: التصوف: هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا. [16]

وقال ابن عجيبة رحمه الله: (التصوف: هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة) [17]. وقال الشبلي رحمه الله تعالى: (التصوف: ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك) [18]. وقال صاحب "كشف الظنون": (هو علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعاداتهم) إلى أن قال:

علم التصوف علمٌ ليس يعرفه إلا أخـــــــو فطنةٍ بالحق معروفُ

وليس يعرفه مَنْ ليس يشهده وكيف يشهد ضوءَ الشمسِ مكفوفُ[19]

---

(13) ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، ج1، ص602.

(14) خطار(يوسف): الموسوعة اليوسفية في بيان ادلة السادة الصوفية، المركز العربي، دمشق، 1418هـ/1997م، ص73.

(15) زروق(العباس احمد899هـ/ 1493م): قواعد التصوف، مطبعة مصر، القاهرة، 1318هـ/1900م، قاعدة 13، ص8.

(16) خطار: الموسوعة اليوسفية، ص 142.

(17) ابن عجيبة (احمد الحسيني 1224هـ/1809م): معراج التشوف الى حقائق التصوف، مطبعة الاعتدال، دمشق، ط 1، 1356هـ/1937م، ص5.4.

(18) السلمي(محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم 412هـ/1021م): طبقات الصوفية، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، ص258.

(19) حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله ت 1067هـ/1656م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1360هـ/1941م، ج1ص413، 414.

وقال الشيخ زروق في قواعد التصوف: (وقد حُدَّ التصوف ورُسِمَ وفُسِّرَ بوجوه تبلغ نحو الألفين، مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه) [20]، فعماد التصوف تصفية القلب من أوضار المادة، وقوامه صلة الإنسان بالخالق العظيم، فالصوفي من صفا قلبه لله، وصفتْ لله معاملته، فصفت له من الله تعالى كرامته.

ومهما يكن من أمر، فإن التصوف أشهر من أن يحتاج في تعريفه إلى قياس لفظٍ، واحتياج اشتقاق.

وإنكار بعض الناس على هذا اللفظ بأنه لم يُسمع في عهد الصحابة والتابعين مردود، إذ كثيرٌ من الاصطلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة، واستُعملت ولم تُنكَر، كالنحو والفقه والمنطق.

على كلٍّ فإننا لا يهتم بالتعابير والألفاظ، بقَدْرِ الاهتمام بالحقائق والأسس، فالتصوف إنما يقصد به تزكية النفوس وصفاء القلوب، وإصلاح الأخلاق، والوصول إلى مرتبة الإحسان، فسمي ذلك تصوفاً. وإن شئت فسمه الجانب الروحي في الإسلام، أو الجانب الإحساني، أو الجانب الأخلاقي، أو سمه ما شئت مما يتفق مع حقيقته وجوهره؛ إلاَّ أن علماء الأمة قد توارثوا اسم التصوف وحقيقته عن أسلافهم من المرشدين منذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا، فصار عُرفاً فيهم. فالمراد من التصوف هو أن يعيش المرء لربه لا لنفسه، ويتحلى بالزهد وملازمة العبودية والإقبال على الله تعالى بالروح والقلب في جميع الأوقات.

فالتصوف اهتم بالجانب القلبي بالإضافة إلى ما يقابله من العبادات البدنية والمالية ورسم الطريق العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى درجات الكمال الإيماني والخلقي، وليس كما يظن بعض الناس أن التصوف هو عبارة عن قراءة أوراد وحلق ذكر فقط، وقد غاب عن أذهانهم أن التصوف منهج عملي كامل يسعى لانقلاب الإنسان من شخصية منحرفة إلى شخصية مثالية متكاملة، فالتصوف هو روح الإسلام وقلبه النابض، وهذا الدين ليس هو أعمال ظاهرية لا روح فيها، ولا أمور شكلية لا حياة بها، ولم يصل المسلمون إلى هذا الدرك من الانحطاط والضعف إلا حين فقدوا روح الإسلام وجوهره، ولم يَبْقَ فيهم إلا مظاهره

4. لماذا لم يطلق على أفاضل الصحابة لقب الصوفية؟

لأن اسم الصحبة لا أفضلية فوقه؛ ولأنه لما ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق، وكل فريق ادعى أن فيهم زهاداً وعباداً، انفرد أهل الطريق الحافظون لقلوبهم عن طوارئ الغفلة باسم التصوف، وأشتهر هذا الاسم قبل 200 هـ، وأول من سمي بالصوفي أبو هاشم الصوفي المتوفى 150هـ[21]، فالتصوف إذاً مأخوذ من سيرة الرسول ﷺ وحياة الصحابة الكرام، وهو التطبيق العملي للإسلام، فقد كان رسول ﷺ يوجه اهتمام الصحابة لإصلاح قلوبهم، ويبين لهم أن صلاح الإنسان متوقف على صلاح قلبه من الأمراض الخفية والعلل الباطنية. فكان يقول: " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ". متفقٌ عَلَيْهِ. [22]

وكان ﷺ يعلم أصحابه أن نظر الله تعالى محله القلب – إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم –رواه مسلم[23]، وكان يقول التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير إلى قلبه ﷺ.

5. ما سبب عدم الدعوة إلى التصوف في صدر الإسلام؟

لأنهم لم يكونوا بحاجة إليها في العصر الأول، فأهل ذلك العصر كانوا أهل تقوى وورع وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم وبحكم قرب اتصالهم برسول الله ﷺ، فكانوا يتسابقون في الاقتداء به، فلم يحتاجوا إلى تلقينهم علماً هم

(20) زروق: قواعد التصوف، ص2

(21) حاجي خليفة: كشف الظنون، ص414.

(22) النووي: رياض الصالحين، ص 446.

(23) النووي: رياض الصالحين، ص215.

قائمون به فعلاً، فمثلهم كمثل العربي السليقي يعرف اللغة العربية بالتوارث حتى إنه يقرض الشعر البليغ بفطرته دون أن يدرس شيئاً من دروس النحو والبلاغة والأدب فلا حاجة له، وهكذا الصحابة والتابعون فهم وإن لم يتسموا باسم الصوفية فقد كانوا صوفيين في الحقيقة.

فالتصوف كان موجوداً حقيقة ومعنى عندهم، التقوى موجودة والقلوب صالحة والنفوس مزكاة، والمعلم والمرشد الذي كان يُبَايَعُ حينئذ ويؤخذ عنه الطريق هو رسول الله ﷺ إمام الدعاة والمرشدين، كان ﷺ يربي الناس بحاله ومقاله، وهو القدوة والأسوة، وقد فرض الله تعالى على المكلفين طاعته واتباعه، فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[24]، فالطريق هو متابعة الرسول والاقتداء به وإنما الحادث هو الاسم لا المسمى، فهم كانوا صوفية بالفعل والسلوك العملي، فكيف نطالبهم بتعلُّم علم هم أساتذة الأمة فيه.

وعندما تَسرَّب حب الدنيا إلى قلوب الأجيال التالية، واستولى عليها الران الذي قال الله ﷻ فيه ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[25]صارت الحاجة ماسَّة لتنبيه الناس إلى الجانب الروحي، ولفت أذهانهم إلى العبودية الحقة لله ﷻ بإصلاح القلوب، وتزكية النفوس، وعدم الانشغال عن ذكر الله بالتكالب على حطام الدنيا، هذا ما يعمل التصوف على تحقيقه فهل هو إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عنهم في ذلك.

فالحبيب المصطفىﷺ قال: (ازْهَدْ في الدُّنيا يُحِبّكَ اللَّه، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحبّكَ النَّاسُ) [26]، فانبرى لذلك ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[27] فبذلوا كل ما في وسعهم ليوجهوا القلوب إلى الله ﷻ وخرَّجوا تلامذة أصحاب نفوس مزكاة، وأوجدوا بين صفوف المسلمين أصحاب قلوب سليمة، حولوا أمور الدين في أخلاقهم وسلوكهم وآدابهم وشؤون حياتهم من علم نظري إلى فعل وسلوك عملي.

6. أقوال الأئمة في لزوم التصوف وضرورته:

يقول الإمام مالك رحمه الله: " مَن تَفقَّه ولم يتصوَّف فقد تَفسَّق، ومَن تَصوَّف ولم يتفقَّه فقد تَزَنْدق، ومَن جمع بينهما فقد تحقق. [28]

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: المتوفى في مصر سنة 204هـ/ 854م صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين: قولهم: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك. وقولهم: نفسَك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل. [29]

وقال أيضاً ﷺ: حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث: ترك التكلف، وعِشْرة الخَلْق بالتَّلطف، والاقتداء بطريق أهل التصوف.[30]

---

(24) سورة الاحزاب، 21.

(25) سورة المطففين، 14.

(26) ابن ماجه(محمد بن يزيد القزويني ت 273هـ/885م): سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، ج 2، ص373.

(27) سورة الاحزاب 23.

(28) الهروي(علي بن سلطان محمد ابو الحسن نور الدين الملا 1014هـ/1605م): شرح الشفا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1421هـ/2000م، ج2ص510.

(29) السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ت 911هـ/1505م): تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، صححه: عبد الله بن محمد الغماري، القاهرة، 1352هـ/1934م، ص49.

(30) الجراحي(اسماعيل بن محمد العجلوني ت 1162هـ/1748م): كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تح: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، مكتبة العصرية، القاهرة، 1420هـ/200م، ج1 ص341.

كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى توفي سنة 241هـ قبل مصاحبته للصوفية يقول لولده عبد الله رحمه الله تعالى: (يا ولدي عليك بالحديث، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه. فلمَّا صحب أبا حمزة البغدادي الصوفي، وعرف أحوال القوم، أصبح يقول لولده: يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة) [31]. و نقل الفقيه الحنفي الحصكفي صاحب الدر المختار: أن أبا علي الدقاق رحمة الله تعالى قال: أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصر أباذي، وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي، وهو من السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه، وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله، ثم قال صاحب الدر معلقا: فيا عجبا لك يا أخي! ألم يكن لك أسوة حسنة في هؤلاء السادات الكبار؟ أكانوا متهمين في هذا الإقرار والافتخار، وهم أئمة هذه الطريقة وأرباب الشريعة والحقيقة؟ ومن بعدهم في هذا الأمر فلهم تبع، وكل ما خالف ما اعتمدوه مردود مبتدع[32].

يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه المنقذ من الضلال: ولقد علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق. . . [33]

ويقول المُفسِّر الكبير الإمام الفخر الرازي رحمه الله: في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: المتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية، ويجتهدون ألا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى في سائر تصرفاتهم وأعمالهم، مُنطبِعون على كمال الأدب مع الله ﷻ، وهؤلاء هم خير فرق الآدميين[34].

يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله: قَعَّد القوم من الصوفية على قواعد الشريعة التي لا تنهدم دنيا وأخرى، وقَعَّد غيرهم على الرسوم [35]. ويقول الإمام النووي رحمه الله في رسالته المقاصد: أصول طريق التصوف خمسة:

1- تقوى الله في السر والعلانية.
2- إتباع السنة في الأقوال والأفعال.
3- الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار.
4- الرضا عن الله في القليل والكثير.
5- الرجوع إلى الله في السراء والضراء. [36]

ويقول الإمام تاج الدين السبكي في كتابه معيد النعم ومبيد النقم تحت عنوان الصوفية: حياهم الله وبيّاهم، وجمعنا في الجنة نحن وإياهم، والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين تُرجَى الرحمة بذكرهم، ويُستنزَل الغيث بدعائهم، فرضي الله عنهم وعنَّا بهم[37].

---

(31) الكردي (محمد امين): تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1414هـ/1993م، ص405.

(32) ابن عابدين (محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز 1306هـ/1888م): رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1413هـ/1992، ج1ص60.

(33) الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد 505هـ/1111م): المنقذ من الضلال، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د. ت، ص 177.

(34) الرازي (محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ت 606هـ/1209م): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تح: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص73.

(35) عيسى: حقائق، ص374.

(36) النووي(ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف ت676هـ/1277م): المقاصد، مطبعة الجفان، ط2، 1414هـ/1993، ص52 -53.

وما سبق كان شرحاً وجيزاً عن علم التصوف علم الحقيقة. وكما ذُكر سالفاً أن العلوم أخذت تسمى بأسمائها، وظهرت العلوم الكثيرة كعلم البلاغة والنحو والصرف وعلم الكلام وغيرها من العلوم التي انتجت رجالات كانوا عباقرة كل في ميدانه، وفي الحديث عن التصوف كان لهذا العلم أيضاً رجالاته ومن هؤلاء الرجال وهو من موضوع البحث هذا هو محي الدين ابن عربي

- **ثانياً_ ترجمة ابن عربي.**

1. **حياته:**

هو محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي، أحد أشهر رجال التصوُّف لقبه أتباعه وغيرهم من الصُّوفية "بالشيخ الأكبر"؛ ولذا تنسب إليه الطريقة الصوفية. ولد في "مرسية" في الأندلس في شهر رمضان الكريم عام 558 هـ/ 1164م قبل عامين من وفاة الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني.

ولد ابن عربي من أب مارسي و أم أمازيغية، و يعرف عند الصوفية بالشيخ الأكبر أو الكبريت الأحمر، ويعتبره كثيرون واحداً من أكابر العلماء المسلمين على مر العصور.

كان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف، وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ نشأة تقية ورعة نقية من جميع الشوائب الشائبة، وهكذا درج في جو عامر بنور التقوى، فيه سباق حر مشرق نحو الشرفات العليا للإيمان[38].

أما نشأته الروحية فمما لاشك فيه أن استعداده الفطري، ونشأته في هذه البيئة العلمية الأخلاقية المميزة، وانتسابه إلى تلك المدرسة الرمزية كل ذلك قد تضافر على إبراز هذه الناحية الروحية عنده في سن مبكر فلم يكد يختم الحلقة الثانية من عمره حتى كان قد انغمس في أنوار الكشف والإلهام، ولم يشارف العشرين حتى أعلن أنه جعل يسير في الطريق الروحاني، وأنه بدأ يَطَّلِعُ على أسرار الحياة الصوفية[39].

2. **رحلاته:**

كان ديدن ابن عربي كباقي إخوانه من العلماء الذين ارتحلوا وتحملوا مشاق السفر والترحل من مكان إلى آخر في سبيل العلم تلقياً أو ملقياً. والكل يعلم بأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها، فكان ابن عربي سباقاً في السفر في سبيل الحصول على ضالته، وفيما بين سنتي 597_620هـ /1200_ 1223م يبدأ رحلاته الطويلة المتعددة الي بلاد الشرق، فيتجه إلى الشرق، ويستقر خلال رحلته في دمشق.

و في السنة 597هـ/1201م يرحل إلى مكة فيستقبله فيها شيخ وقور جليل عريق المحتد ممتاز في العقل والعلم والخلق والصلاح، وفى هذه الأسرة التقية يلتقي بفتاة تدعى نظاماً؛ وهي ابنة ذلك الشيخ، وقد حباها الله نصيباً موفوراً من المحاسن الجسمية والميزات الروحية الفائقة، واتخذ منها محيي الدين رمزا ظاهريا للحكمة الخالدة، وأنشأ في تصوير

---

(37) السبكي(عبد الوهاب بن تقي الدين ت 771هـ/1369م): معيد النعم ومبيد النقم، تح: محمد علي النجار، دار الكتب العربي، القاهرة، ط1، 1368هـ/1948م، ص119.

(38) صلاح الدين(محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن ت 764هـ/1262م): فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1393هـ/1973، ج3 ص 346، البقاعي(إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر ت 885هـ/1480م): مصرع التصوف وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، تح: عبدالرحمن الوكيل، دار عباس، مكة المكرمة، ج 1ص18.

(39) الفاسي (تقي الدين 832هـ/1428م): عقيدة ابن عربي وحياته، تح: علي حسن عبد الحميد، مكتبة ابن الجوزي، الإسكندرية، ط 1 1408هـ/1987م، ص4-15.

هذا الرمز قصائد سجلها في ديوان ترجمان الأشواق ألفه في ذلك الحين [40]، وفي سنة 599هـ/1202م زار الطائف وفي زيارته هذه زار بيت عبد الله بن العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخار الله، وكتب رسالة حلية الأبدال لصاحبيه أبي محمد عبد الله بن بدر بن عبد الله الحبشي وأبي عبد الله محمد بن خالد الصدفي التلمساني[41].

وفي سنة 601هـ/ 1204م يرتحل إلى الموصل حيث تجتذبه تعاليم الصوفي الكبير علي بن عبد الله بن جامع الذي تلقى لبس الخرقة عن الخضر مباشرة، ثم ألبس محيي الدين إياها، وفي السنة نفسها زار قبر رسول الله ﷺ. وكما قال "وقد ظلمت نفسي وجئت إلى قبره ﷺ، فرأيت الأمر على ما ذكرته، وقضى الله حاجتي وانصرفت، ولم يكن قصدي في ذلك المجيء إلى الرسول إلا هذا المجيء"

وفي سنة 603هـ/1206م في طريقه يلتقي في القاهرة مع فريق الصوفية[42]، وفي سنة 604هـ/ 1207م عاد إلى مكة إلى أصدقائه القدماء الأوفياء، وقام في مكة ثلاثة أعوام، ثم عاد إلى دمشق وزار قونية بتركيا، و تلقاه أميرها السلجوقي باحتفال بهيج. وتزوج هناك بوالدة صدر الدين القوني، ثم لم يلبث أن ارتحل إلى أرمينيا.

وفي سنة 608هـ/1211م رحل إلى بغداد ولقي هناك شهاب الدين عمر السهر وردي الصوفي المشهور، وفي سنة 611هـ/1214م زار مكة، ووجد عدد من فقهائها الدساسين قد جعلوا يشوهون سمعته بسبب القصائد التي نشرها في ديوانه الرمزي منذ ثلاثة عشر عاماً، فقفل عائداً إلى دمشق [43]. وبعد ذلك رحل إلى حلب وأقام فيها ردحاً من الزمن معززاً مكرماً من أميرها. وأخيراً أقام في دمشق سنة620هـ/ 1223م حيث كان أميرها أحد تلاميذه ومن المؤمنين بعلمه ونقائه، وعاش حياته في دمشق يؤلف ويعلم، وكان واحداً من كبار العلماء بين أهل العلم والفقه في دمشق، فدوّن وكتب وراجع مؤلفاته، وكان له مجلس العلم والتصوف في رحاب مجالس دمشق وبين علماء الفقه بدمشق ومدارسها.

و تزوج بفتاة تعدُّ مثالا في الكمال الروحي والجمال الظاهري وحسن الخلق، فساهمت معه في تصفية حياته الروحية، بل كانت أحد دوافعه إلى الإمعان فيها[44].

- **ثالثاً: العلم والفكر عند ابن عربي.**

1. **أهم إنتاجاته العلمية:**

المكتبات العلمية والإسلامية عامة والصوفية خاصة زاخرة بمؤلفات ابن عربي وكتاباته المنتسبة والمنسوبة إليه، أما الثابت منها كما يبدو فهي:

كتاب تفسير ابن عربي: و يضم تفسيره للقرآن. وهناك من عارض الكتاب، وألف ضده، ووصل الأمر ببعضهم إلى اعتبار الكتاب ينال من قدسية القرآن مع أن القارئ المنصف يجد عكس ذلك[45]

---

(40) ابن العماد(عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ت 1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1406 هـ/1986م، ج3، ص190ـ 198.

(41) ابن عربي(محيي الدين محمد بن علي ت 638هـ/1240م): حلية الأبدال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ص 8-22.

(42) المقري(أحمد بن محمد 1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت، تح: احسان عباس، ط 1، 11388هـ/1978م ج2، ص 361، 384.

(43) المنذري(زكي الدين أبو محمد بن عبد القوي ت 656هـ/ 1258م): التكملة لوفيات النقلة، تح: بشار عواد معروف، دار الرسالة، الرياض، ط3، 1405هـ/ 1985م، ج3، ص555.

(44) ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص198، 203.

(45) حسين الذهبي (محمد السيد ت 1398هـ/1977م): تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط2، ج1، ص1.

كتاب الفتوحات المكية: المكوُن من 37 سفر و 560 باب، ووُصف بأنه من النصوص الصوفية الموغلة في التعمق. والفتوحات المكية من أهم كتب ابن عربي في التصوف التي تحتوي أكثر من 4000 صفحة.

ديوان ترجمان الأشواق: الذي خصصه لمدح نظام بنت الشيخ أبي شجاع بن رستم الأصفهاني التي عرفها في مكة سنة 598هـ/1201م.

كتاب شجرة الكون: يتحدث فيه عن الكون مشبهاً إياه بشجرة أصلها كلمة "كُن".

كتاب اليقين: الذي تناول موضوع اليقين الذي حيّر العديد من فلاسفة ذلك العصر [46]. أما أقواله فمما لا يستطيع إنكاره أحد فإنَّها قدوة لكثير من البشر حتى في هذا العصر في عدة ميادين علمية. ومن أشهر أقواله العقائدية: "من قال بالحلول فدينه معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد"[47]

وفي ميدان الحكمة فهو المشتغل على البصيرة بعد أن انشغل الناس بالبصر، والمنشغل بالقلب بعد أن انصهروا بالعقل والماديات التي لطالما حاولَ مجابهة إعلائها عن مستوى الروحانيات، وهو القائل: "الحكم نتيجة الحكمة والعلم نتيجة المعرفة فمن لا حكمة له لا حكم له، ومن لا معرفة له لا علم له"[48].

ومع اتهام الكثيرين لابن عربي بالزندقة أو القول بالاتحاد والحلول فإن القارئ لأقواله والفاهم لها سيدرك أنه تعرض إلى ظلم كبير لن يدرك مداه إلا منصف عاقل يفهم الكلام ويدرك ما يقرأ أو يسمع، فابن عربي متوازنٌ في كلامه وما يقوله، فهو القائل: "فإذا سمعت أحداً من أهل الله يقول أو ينقل إليك عنه أنه قال الولاية أعلى من النبوة، فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه. أو يقول: إن الولي فوق النبي والرسول فإنه يعني بذلك في شخص واحد وهو أن الرسول من حيث إنه ولي أتم منه من حيث إنه نبي ورسول لا أن الولي التابع له أعلى منه، فإن التابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيه إذ لو أدركه لم يكن تابعاً فافهم"[49]

2. **ما أثير حوله في قضية وحدة الوجود:**

اختلف العلماء في موقفهم من العارفين المحققين القائلين بوحدة الوجود، فمنهم من تسرع باتهامهم بالكفر والضلال، وفهم كلامهم على غير المراد. ومنهم من لم يتورط بالتهجم عليهم فتثبت في الأمر ورجع إليهم ليعرف مرادهم. لذلك احتاج الأمر للإيضاح لتطمئن به قلوب أهل التسليم من علماء النظر، ومن العلماء الذين حققوا في هذه المسألة وفهموا المراد منها السيد مصطفى كمال الشريف، حيث قال: (الوجود واحد لأنه صفة ذاتية للحق سبحانه وتعالى، وهو واجب فلا يصح تعدده، والموجود هو الممكن وهو العالم فصح تعدده باعتبار حقائقه، وقيامه إنما هو بذلك الوجود الواجب لذاته، فإذا زال بقي الوجود كما هو، فالموجود غير الوجود فلا يصح أن يقال الوجود اثنان: وجود قديم ووجود حادث، إلا أن يراد بالوجود الثاني الموجود من إطلاق المصدر على المفعول، فعلى هذا لا يترتب شيء من المحاذير التي ذكرها أهل النظر على وحدة الوجود القائل بها أهل التحقيق. . . إلى أن قال: الحس لا يرى إلا الهياكل أي الموجود، الروح لا تشهد إلا الوجود، وإذا شهدت الموجود فلا تشهده إلا ثانياً، على حَدِّ مَنْ قَالَ: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قَبْلَهُ، وأراد بهذه الرؤية الشهود لا رؤية البصر؛ لأن الرؤية من خصائص البصر، والشهود من خصائص

---

(46) الفيومي (محمد ابراهيم): ابن عربي، دار المصرية، القاهرة، 1418هـ/1997، ص15.

(47) الشعراني(عبدالوهاب بن أحمد 973هـ/1565م): اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر، بيروت، دار صادر، 1305هـ/1887م، ج1 ص 83 – 87.

(48) ابن عربي: حلية الابدال، ص35.

(49)ابن عربي(محيي الدين محمد بن علي ت 638هـ/1240م): فصوص الحكم، تح محمود محمود الغراب، مطبعة زيد بن ثابت، 1406هـ/1985م، ص329.

البصيرة لذلك ورد: أشهد أن لا إله إلا الله، ولم يرد أرى، بل ولا يصح أن يقال: أرى) [50]. وهكذا شأن العلماء المنصفين يغارون على الشريعة الغراء، ويتثبتون في الأمور دون أن يتسرعوا بتكفير أحد من المؤمنين، ويرجعون في فهم كل حقيقة إلى أهل الاختصاص بها؛ لأن مسألة وحدة الوجود أخذت حظاً كبيراً من اهتمام بعض العلماء وشغلت أذهان الكثير منهم، وأراد البحث أن يزيد الموضوع إيضاحاً وتبسيطا وتنويراً للإفهام فيقول: إن الوجود نوعان: وجود قديم أزلي وهو واجب، وهو الحق سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿ذلك بأن الله هو الحق ﴾ [51] أي الثابت الوجود المحقق.

ووجود جائز عرضي ممكن، وهو وجود من عداه من المحدثات وإن القول بوحدة الوجود، وإن الوجود واحد هو الحق تعالى يحتمل معنيين: أحدهما حق، والثاني كفر، ولهذا فالقائلون بوحدة الوجود فريقان:

الفريق الأول: أرادوا به اتحاد الحق بالخلق وإنه لا شيء في هذا الوجود سوى الحق، وإن الكل هو، وإنه هو الكل، وإنه عين الأشياء، وفي كل شيء له آية تدل على أنه عينه. . . فقوله هذا كفر وزندقة وأشد ضلالة من أباطيل عبدة الأوثان. وقد شدد الصوفية النكير على قائله فأفتوا بكفره، وحذروا الناس من مجالسته.

قال العارف بالله أبو بكر محمد بناني رحمه الله تعالى: " فاحذر يا أخي كل الحذر من الجلوس مع من يقول ما ثم إلا الله ويسترسل مع الهوى فإن ذلك الزندقة المحضة؛ إذ العارف المحقق وضَّح قدماً في الشريعة ورسخ في الحقيقة وتفوه بقوله: ما ثم إلا الله، لم يكن قصده من هذه العبارة إسقاط الشرائع وإهمال التكاليف، حاشا لله أن يكون هذا قصده"[52].

الفريق الثاني: قالوا ببطلان وكفر ما ذكر، من أن الخالق عين المخلوق، وإنما أرادوا بوحدة الوجود وحدة الوجود القديم الأزلي وهو الحق سبحانه فهو لا شك واحد منزه عن التعدد، ولم يقصدوا بكلامهم الوجود العرضي المتعدد وهو الكون الحادث؛ لأن وجوده مجازي، وفي أصله عدمي لا يضر ولا ينفع. فالكون معدوم في نفسه، هالك فانٍ في كل لحظة. قال تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [53]، وإنما يظهره الإيجاد، ويثبته الإمداد و الكائنات ثابتة بإثباته وممحوة بأحدية ذاته، وإنما سر القيومية فيه. وهؤلاء قسمان:

1- قسم أخذ هذا الفهم بالاعتقاد والبرهان، ثم بالذوق والعيان، وغلب عليه الشهود فاستغرق في لجج بحار التوحيد ففني عن نفسه فضلاً عن شهود غيره مع استقامته على شرع الله تعالى، وهذا قوله حق.

2 – وقسم ظن أن ذلك علم لفظي فتوغل في تلاوة عباراته وتمسك بظواهر إشاراته و وغاب في شهودها عن شهود الحق، فربما هانت الشريعة في عينيه لما يلتذ به من حلاوة تلك الألفاظ، فيقع على أم رأسه ويتكلم بما ظاهره أن الشريعة في جهة يختص بها أهل الغفلة، والحقيقة في جهة أخرى يختص بها أهل العرفان، ولعمري إن هذا لهو عين الزور والبهتان، وما ثم إلا شريعة ومقام إحسان [54].

وعلى كل فالأولى بالصوفي في هذا الزمان أن يبتعد عن الألفاظ والتعبير التي فيها إبهام أو غموض أو اشتباه، لئلا يوقع الناس بسوء الظن به أو تأويل كلامه على غير ما يقصده ولأن كثيرا من الزنادقة والدخلاء على الصوفية قد تكلموا بمثل هذه العبارات الموهمة والألفاظ المتشابهة ليظهروا ما يكنونه في قلوبهم من عقائد فاسدة، وليصلوا بذلك إلى

---

(50) الشريف (مصطفى كمال): رسالة وحدة الوجود، مكتبة بغداد، بغداد، ط 1، ص 27 – 28.

(51) سورة الحج: آية 22.

(52) بناني(محمد): مدارج السالكين إلى ملك الملوك، دار أبو حنيفة، طرابلس، ص 134.

(53) – سورة القصص، آية 88.

(54) – بناني، مدا رج السالكين إلى ملك الملوك، ص 143.

إباحة المحرمات، وليبرروا ما يقعون فيه من المنكرات والفواحش فاختلط الحق بالباطل، وأخذ المؤمن الصادق بجريرة الفاسق المنحرف.

لهذا سَيَّجَ الصوفية بواطنهم وظواهرهم بالشريعة الغراء، وأوصوا تلاميذهم بالتمسك بها قولاً وعملاً وحالاً، فهي عندهم باب الدخول وسلم الوصول ومن حاد عنها من الهالكين وختاما نقول: إن تلك النقول عن العلماء والأعلام وعن الصوفية أنفسهم تكشف للقارىء الكريم أن الصوفية مبرؤون مما نسب إليهم من القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وأن كلامهم مؤول على وجه شرعي، وموافق لما عليه أهل السنة والجماعة من العقيدة الصحيحة السليمة وأَنَّهم ما نالوا هذه المواهب العرفانية إلا بالتمسك بالكتاب والسنة، وأَنَّهم حقيقة رجال السلف الصالح رضي الله عنهم الذين تمسكوا بهدى رسول الله فأفلحوا وتحققوا بالأتباع الكامل له، فنالوا الرضا من الله تعالى، وفازوا بسعادة الدارين. قال تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾[55]

رابعاً_ الجدل حول شخصيته و موقف الأئمة منه.

1. سبب الجدل حول شخصيته و مؤلفاته.

يبدو أنَّ النزعة الفلسفية في كتبه جعلت من لا يفهما ينقدها، وقد نُقِلَ عن ابن عربي أنه قال هذا القول فمن فسر ألفاظه بالطريقة الصحيحة فهم ما يقصد من مؤلفاته، فقد حذر من تداول الكتب بين الجهلاء، و من سَلَّمَ بظاهر تلك الألفاظ دون علم بمعانيها في المذهب الصوفي رأى فيها كفراً. حيث قال: نحن قوم يحرم النظر في كتبنا، و ذلك أن الصوفية تواضعوا على ألفاظ اصطلحوا عليها، و أرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة منها، فمن حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم الظاهر كفَر و كفَّرهم [56]. وأهم المواضيع التي سبَّبت لابن عربي الاعتراض الكبير كثيرة ومنها: قوله في إحدى قصائده مناجياً ربه:

يا من يراني ولا أراه كم ذا أراه ولا يراني

فقال لي بعض أخواني كيف تقول: إنه لا يراك، وأنت تعلم أنه يراك، فقلت له في الحال مرتجلاً:

يا من يراني مجرماً ولا أراه آخـذاً
كم ذا أراه منعماً ولا يرانـي لائذاً

ويقول أيضاً:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

فابن عربي قد انتهى إلى أن جعل من الحب ديناً، وبنظر إلى مختلف الأديان وعلى تعددها واختلاف المرسلين بها وتعاقب الداعين إليها إنما تشترك في أصل واحد هو الحب وتخاطب الإنسان من حيث هو الإنسان شيئاً واحداً ألا وهو القلب، وعلى ذلك نجد ابن عربي أنه ليس ثمة دين أعلى من دين قائم على المحبة و الشوق لمن أدين له به[57].

(55) سورة النساء ، اية 69.

(56) الفاسي: عقيدة ابن عربي، ص 14 15،.

(57) الخطيب(علي): اتجاهات التصوف، دار المعارف، القاهرة، 1404هـ/1983م، ص444.

وهذا يعني بعبارة أخرى أن الدين من حيث حقيقته وأصله واحد ولكن من حيث صوره متعدد، ومثله في هذا كمثل الحب، وذلك أن الحب بما هو الحب له حقيقة واحدة ولكنه لما هو حب في قلوب المحبين المختلفين له صور متعددة بتعدد هؤلاء المحبين.

2. المؤيـــــدين له.

ابن حجر الهيثمي الشافعي حيث قال: «الذي أثرناه عن أكابر مشايخنا العلماء الحكماء الذين يُستسقى بهم الغيث، وعليهم المعوّل وإليهم المرجع في تحرير الأحكام وبيان الأحوال والمعارف والمقامات والإشارات أن الشيخ محي الدين بن عربي من أولياء الله العارفين ومن العلماء العاملين، وقد اتفقوا على أنه كان أعلم أهل زمانه، بحيث إنه كان في كل فن متبوعاً لا تابعاً، وأنه في التحقيق والكشف والكلام على الفرق والجمع بحر لا يجارى، وإمام لا يغالط ولا يمارى، وأنه أورع أهل زمانه وألزمهم للسنّة وأعظمهم مجاهدة»[58].

عبد الوهاب الشعراني، حيث قال عن ابن عربي: «إن الشيخ من كمّل العارفين بإجماع أهل الطريق، وكان جليس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدوام» [59]. وهذا الشوكاني: وقد كان من المنتقدين للشيخ ابن عربي بل والمكفرين له فرجع عن قوله في آخر حياته، فقال رداً على سؤال وجّه له بخصوص الحلاج وابن عربي: «فأجبت عن هذا السؤال برسالة في كراريس سميتها "الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد" وكان تحرير هذا الجواب في عنفوان الشباب وأنا الآن أتوقف في حال هؤلاء وأتبرأ من كل ما كان من أقوالهم وأفعالهم مخالفاً لهذه الشريعة البيضاء الواضحة التي ليلها كنهارها ولم يتعبدني الله بتكفير من صار في ظاهر أمره من أهل الإسلام»[60]

علاء الدين محمد بن علي الحصكفي: الفقيه الحنفي صاحب الدر المختار حيث قال ناقلاً: «وفي المعروضات المذكورة ما معناه: أن من قال عن فصوص الحكم للشيخ محيي الدين بن العربي: إنه خارج عن الشريعة وقد صنفه للإضلال ومن طالعه ملحد ماذا يلزمه؟ أجاب: نعم فيه كلمات تباين الشريعة وتكلف بعض المتصلفين لإرجاعها إلى الشرع لكنّا تيقنا أن بعض اليهود افتراها على الشيخ قدس الله سرّه فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات، وقد صدر أمر سلطاني بالنهي فيجب الاجتناب من كل وجه» [61] الفيروز آبادي: صاحب القاموس، حيث سئل عن الشيخ ابن عربي فقال: «اللهم نطقنا بما فيه رضاك الذي أعتقده وأدين الله به إنه كان شيخ الطريقة حالاً وعلمًا وإمام الحقيقة حقيقةً ورسماً ومحيي رسوم المعارف فعلاً واسماً إذا تغلغل فكر المرء في طرف من علمه غرقت فيه خواطره عباب لا تكدر الدلاء وسحاب تتقاصى عنه الأنواء كانت دعوته تخرق السبع الطباق وتفرق بركاته فتملأ الآفاق، وإني أصفه وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظني أني ما أنصفته» [62])

العز بن عبد السلام، حيث قال السيوطي في رسالته "تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي": «وحكي عن خادم الشيخ عز الدين قدس الله روحه أنه دخل مع الشيخ إلى الجامع بدمشق، فقال الخادم للشيخ عز الدين: أنت وعدتني أنك

---

(58) ابن حجر(أحمد بن محمد بن علي ت 974هـ/1566م): الفتاوي الحديثة، تح: مصطفى الحلبي، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ص215

(59) الشعراني: اليواقيت، ج1، ص95.

(60) الشوكاني(محمد بن علي بن محمد بن عبد الله 1250هـ/1834م): البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج2، ص 32- 40.

(61) الحصكفي(محمد بن علي بن مجمد بن عبد الرحمن الحنفي 1088هـ/1677م): الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، تح: عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ/2002م، ج4، ص237-239.

(62) السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ت 911هـ/1505م): تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي، مكتبة اسطنبولي، حلب، ص17.

تريني القطب. فقال له: ذلك القطب، وأشار إلى ابن عربي وهو جالس والخلق حلقة حوله. فقال له: يا سيدي فأنت تقول فيه ما تقول؟ فقال له: هو القطب، فكرر عليه القول وهو يقول له ذلك»[63]

السيوطي، حيث قال: «والقول الفصل عندي في ابن عربي طريقة لا يرضاها فرقة أهل العصر ممن يعتقده ولا ممن ينكر عليه، وهي اعتقاد ولايته، ويحرم النظر في كتبه، فقد نقل عنه أنه قال: "نحن قوم يحرم النظر في كتبنا"، وذلك أن الصوفية تواضعوا على ألفاظ اصطلحوا عليه، ا وأرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة منها بين الفقهاء»[64].

3. **الساكتون عنه:**

شرف الدين المناوي، حيث سئل عن الشيخ ابن عربي فأجاب: «أن السكوت عنه أسلم، وهذا هو اللائق بكل ورع يخشى على نفسه».

الحافظ الذهبيالذي يقول عن ابن عربي: «صنف التصانيف في تصوف الفلاسفة وأهل الوحدة، فقال أشياء منكرة عدَّها طائفة من العلماء مروقاً وزندقة، وعدَّها طائفة من العلماء من إشارات العارفين ورموز السالكين، وعدَّها طائفة من متشابه القول، وأن ظاهرها كفر وضلال وباطنها حق وعرفان، وأنه صحيح في نفسه كبير القدر. وآخرون يقولون: قد قال هذا الباطل والضلال، فمن الذي قال: إنه مات عليه، فالظاهر عندهم من حاله أنه رجع وأناب إلى الله، فإنه كان عالماً بالآثار والسنن، قوي المشاركة في العلوم. وقولي أنا فيه: إنه يجوز أن يكون من أولياء الله الذين اجتذبهم الحق إلى جنابه عند الموت وختم له بالحسنى، فأما كلامه فمن فهمه وعرفه على قواعد الاتحادية وعلم محط القوم، وجمع بين أطراف عباراتهم تبين له الحق في خلاف قولهم» [65].

4. المخالفون له:

قال عنه ابن خلدون: «هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملأوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن عربي، وابن سبعين، وابن العفيف، وابن الفارض» [66].

وقال أبو زرعة العراقي: «لا شك في اشتمال" الفصوص" المشهورة على الكفر الصريح الذي لا شك فيه، وكذلك "فتوحاته المكية"، فإن صحّ صدور ذلك عنه، واستمر عليه إلى وفاته: فهو كافر مخلد في النار بلا شك» [67].

أما إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي: (المتوفى: 885هـ) فقد ألف كتاباً كاملاً ينقد فيه كتاب السيوطي "تنبيه الغبي في تبرئة ابن عربي" وأسماه مصرع التصوف وموقفه ظاهر من مقدمة الكتاب المملوءة بالحقد والمعاداة لفكر ابن عربي وأقواله وكتبه ومنشوراته وأفكاره [68]

خامساً_ وفاتــه:

كانت الراحة المادية وهدوء النفس اللذين نعما بهما ابن عربي في دمشق السر في امتداد أيامه فيها، فكانت هذه الأيام هادئة تحيط به أسرته وتغمره كل أنواع التبجيل والتكريم، وعني الملك الأشرف بن الملك العادل شأنه شأن سلفه

(63) السيوطي: تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي، ص19.

(64) السيوطي: تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي، ص4.

(65) الذهبي(شمس الدين محمد بن احمد 748هـ/1347م): ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/1995، ج3، ص453.

(66)ابن خلدون: المقدمة، ص473

(67) الفاسي: عقيدة ابن عربي وحياته، ص4-8.

(68) البقاعي: مصرع التصوف وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، ج 1، ص1-21.

بحضور دروس ابن عربي وتلقى الإجازة من يده لرواية جميع كتبه قبل وفاته بثلاث سنوات في سنة 632هـ /1234م ثم إن قاضي القضاة الشافعية؛ وهو شمس الدين أحمد الخولي كان يخدمه خدمة العبيد تقديراً له؛ ولزيادة التمكن من الإفادة من علومه والاقتداء بسيرته. كما أن قاضي القضاة المالكية التمس الشرف بتزويجه بنته، وترك منصب القضاء بنظرة وقعت عليه من ابن عربي. وقام القاضي ابن الزكي بتوفير معاشه في دمشق فجعل له ثلاثين درهماً كل يوم، وهكذا ظل ابن عربي يحرر مصنفاته دون كلل مع أن بلغ من العمر ما يقارب الثمانين حتى توفي في دمشق ليلة الجمعة عام 638هـ الموافق 1240م في منزل ابن الزكي يحيط به أهله وأتباعه الصوفية. وقام ابن الزكي مع اثنين من مريدي الشيخ؛ هما ابن عبدالخالق وابن النحاس بواجبات الضيافة حتى اللحظة الأخيرة فغسلوه وفقاً لشعائر الإسلام وحملوا جثمانه إلى خارج دمشق في قرية الصالحية القائمة في شمال المدينة على سفح جبل قاسيون، وخلف بعد وفاته ولدين: أحدهما سعد الدين محمد وكان شاعراً صوفياً توفي سنة 656هـ/1288م ودفن بجوار والده، والآخر هو عماد الدين أبو عبدالله محمد توفي بمدرسة الصالحية ودفن أيضاً بجوار والده وأخيه[69].

الخاتمة:

يمثل محي الدين بن عربي إحدى الشخصيات النادرة التي شكلت معايير عصرها وعقائدها، وهو يملك خطاباً ذا خصوصية، لا تجعله يقف خارج التاريخ ولا الجغرافيا، أي خارج الزمان والمكان، شأنه في ذلك شأن كل خطاب إنساني. عرف الصوفية وانضوى تحت لوائها، حين كان التصوف في تلك المرحلة شكلاً من أشكال الوعي الفلسفي العربي . الإسلامي في العصر الوسيط.

ولذلك فإنه من الطبيعي أن تمثّل التجربة الصوفية تجربة لاحقة لتجربة الوحي النبوي، مع أن الفارق بين تجربة النبي وتجربة الصوفي يكمن في أن التجربة الأولى تتضمن الإتيان بتشريع جديد، فيما كون فهم الوحي النبوي بالاتصال بالمصدر نفسه، هي مهمة العارف في التجربة الصوفية، وهذا التشابه والتوازي بين التجربتين يؤسس تشابها لغوياً من حيث بنية لغته التعبيرية.

وشكّل التصوف والتجارب الصوفية مقترباً في الوجود والحياة، وأياً كان جوهر التصوف ومحتويات الصوفية، وهي شديدة التنوع والتفرع، فإن الصوفية هي نمط حياة، أو شكل من أشكال انكشاف الإنسان في الزمان. وقد نهض التصوف في الإسلام، أو ما يعرف بالتصوف الإسلامي، على منهج استنباطي للصلة بين النفس والإله، حيث إن لكل متصوف طريقته الخاصة في السير نحو الذات العلية. لذلك تكمن حقيقة التصوف في مجموعة التجارب الذاتية للمتصوفة. وعلى الرغم من اختلاف مضامين ومواضيع ومنطلقات تجارب المتصوفة، فإن هذا لا يلغي وجود صلات تقارب واتصال وتفاهم بينهم في مختلف الجوانب الروحية والفكرية والسلوكية ضمن إطار التجربة الصوفية ومنطقها.

فابن عربي كما هو حال باقي كبار المتصوفة كان يصرح أحياناً عما يريد قوله وتبليغه، وأحياناً أخرى يعمد إلى الإشارة والرمز.

ويتنازع المعرفة اتجاهان أو نهجان: الأول هو النظر العقلي، والثاني هو الكشف الصوفي، وعليه فإن مفهوم المعرفة يجب أن ينظر إليه ليس بوصف ابن عربي متصوفاً يسلك طرق الكشف وحسب، بل بوصفه فيلسوفاً يلجأ إلى النظر العقلي كذلك، إذ هو يُعقلن عالم الغيب، ويشرح ترتيب وتدبير الكون بصدوره عن الواحد المتجلي في تجليات

---

[69] صلاح الدين: فوات الوفيات، ج3 ص348 الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ت 764هـ1262م): الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/2000م، ج4 ص126.

عديدة. ويشرح كذلك في جدل نازل تجليات الحق، وفي جدل صاعد ترقي الإنسان بالتجربة الصوفية إلى مرتبة الاحسان.

وقد أكد ابن عربي على أهمية دور العقل في تحصيل المعرفة، وأعطى للحواس والخيال دورين كبيرين في تحصيل المعرفة، ولا يغلق باب الكمال المعرفي في وجهه؛ إذ يمكن لأي إنسان أن يرتقي في مدارج المعرفة عن طريق الإرادة المجسدة في الرياضات والمجاهدات الصوفية، فتصفو نفسه، وتتجلي مرآته، وتصبح قادرة على تلقي الأنوار الإلهية بواسطة التأويل المستمر للوجود، الذي يتجدد خلقه على الدوام، وعن طريق الحب ودين الحب. فالحب عند ابن عربي أصل العبادة وسرها وجوهرها، إذ لولا المعرفة بالمحبوب ما عُبد. ذلك أن الشيء لا يعبد إلا بعد أن يخلع عليه العابد لباس التقديس، وهو لا يقدسه إلا بعد أن يعرفه ويحبه. كما أن الحب عند ابن عربي هو سبب الخلق. وقد شق المتصوفة على طول التاريخ العربي الاسلامي مسارات أساسية للتسامح الإنساني الأصيل، وأبدعوا في بناء تفاصيل ومواقف تبرهن على واقعيتهم وابتعادهم عن السجال النظري والإغراق في بناء النظريات.

واستخدم ابن عربي في فلسفته الصوفية كل التراث الروحي للإسلام، والتراث الروحي للبشرية المعروف في عصره. واستدعى في زمانه الغابر التاريخ الديني بمجمله، وتمكّن من صياغته في جغرافيا كونية روحانية واحدة، ولم يلجأ إلى التمركز والفصل والإحالة، ولا إلى أفكار الصراع والصدم، ولا إلى التشويه والتحريف، بل حاول أن يعطي كل نبي من أنبياء البشرية موقعه الوجودي الذي لا يملأه سواه، بناء على منطلق يجعل من الكمال الإنساني لبنة أساسية وضرورية في جدار الكمال، ويبقى على أمد الدهر حقيقة روحية محورية للمجتهدين وللسالكين والواصلين. وكان تصوره ينهض على البحث في الحقائق الوجودية الضرورية لبناء عالم روحاني واحد، طريقه المعرفة، ومسعاه إدامة التسامح، وبالتالي فإن من اللازم البحث في عالم اليوم عن ماهية المعرفة التي يمكن أن يضيفها ابن عربي الى ما نملكه من معارف حول شخصه ودوره الروحاني، وإلى تلمّس المدى الذي يمكن بواسطته معرفة مقدار مساهمة رؤية شخص من قبول الآخر والاندماج الإنساني معه. فابن عربي لم يكن متمذهباً في عقيدته الصوفية، بل كان متسامحاً، ديانته تنهض على الحب، ويحدوه الحلم بالإنسان الكامل المتعالي الذي يمكنه بناء مجد الإنسان على الأرض فهذا بعض الرأي بالتصوف و بابن عربي، فبعضهم يوافقني وبعضهم يخالفني، والاختلاف بالرأي لا يفسد للود قضية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر ، *مصرع التصوف وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد*، تح: عبدالرحمن الوكيل، دار عباس، مكة المكرمة. ت885هـ/1480م

2. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، *مجموع الفتاوي*، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1416هـ/1995م. ت 728هـ/1327م

3. الجراحي، إسماعيل بن محمد العجلوني *كشف الخفاء ومزيل الإلباس*، تح: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، مكتبة العصرية، القاهرة، 1420هـ/200م. ت1162هـ/1748م

4. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون* ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1360هـ/1941م. ت1067هـ/1656م

5. ابن حجر ، أحمد بن محمد بن علي ، *الفتاوي الحديثة* ، تح: مصطفى الحلبي، دار المعرفة، بيروت. ت 974هـ/1566م

6. الحصكفي، محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الحنفي ، *الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار*، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ/2002م. 1088هـ/1677م

7. الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ، *تاريخ بغداد* ، تح بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1423هـ/2002. ت463هـ/1070م

8. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ/1988. ت 808هـ/1405م

9. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين *اعتقادات فرق المسلمين والمشركين*، تح: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت. ت 606هـ/1209م

10. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/1995. 748هـ/1347م

11. زروق، العباس أحمد، *قواعد التصوف*، مطبعة مصر، القاهرة، 1318هـ/1900م. 899هـ/ 1493م

12. السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين *معيد النعم ومبيد النقم* ، تح: محمد علي النجار، دار الكتب العربي، القاهرة، ط1، 1368هـ/1948م. ت 771هـ/1369م

13. السلمي، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم *طبقات الصوفية* ، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م. 412هـ/1021م

14. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين *تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي* ، مكتبة اسطنبولي، حلب. ت 911هـ/1505م

15. *تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية* ، صححه: عبد الله بن محمد الغماري، القاهره، 1352هـ/1934م.

16. *الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة* ، تح: الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض.

17. الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد ، *اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر* ، بيروت، دار صادر، 1305هـ/1887م. 973هـ/1565م

18. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ، *البدر الطالع بمحاسن القرن السابع* ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج2، ص 32– 40. **1250**هـ/1834م

19. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله *الوافي بالوفيات*، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/2000م. ت 764هـ1262م

20. صلاح الدين ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن، *فوات الوفيات*، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1393هـ/1973. ت 764هـ/1262م

21. الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، *المعجم الكبير*، تح: حمدي عبد المجيد، دار مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2. ت360هـ/970م

22. ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز ، *رد المحتار على الدر المختار* ، دار الفكر، بيروت، ط2، 1413هـ/1992. 1306هـ/1888م

23. ابن عجيبة ، أحمد الحسيني، *معراج التشوف إلى حقائق التصوف* ، مطبعة الاعتدال، دمشق، ط 1، 1356هـ/1937م. 1224هـ/1809م

24. ابن عربي ، محيي الدين محمد بن علي *حلية الأبدال* ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2. ت 638هـ/1240م

25. *فصوص الحكم*، تح محمود الغراب، مطبعة زيد بن ثابت، 1406هـ/1985م.

26. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب* ، تح: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1406 هـ/1986م، ج3، ص190- 198. ت 1089هـ/1678م

27. الفاسي ، تقي الدين ، *عقيدة ابن عربي وحياته* ، تح: علي حسن عبد الحميد، مكتبة ابن الجوزي، الإسكندرية، ط1 1408هـ/1987م. 832هـ/1428م

28. الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم ، *بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار* ، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ /1999م. ت380هـ/990م

29. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، *سنن ابن ماجه*، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية. ت273هـ/885م

30. المقري، أحمد بن محمد ، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب* ، دار صادر، بيروت، تح: إحسان عباس، ط1، 11388هـ/1978م ج2، ص 361، 384. 1041هـ/1631م

31. المنذري، زكي الدين أبو محمد بن عبد القوي ، *التكملة لوفيات النقلة* ، تح: بشار عواد معروف، دار الرسالة، الرياض، ط3، 1405هـ/ 1985م. ت 656هـ/ 1258م

32. النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف ، *رياض الصالحين*، تح: شعيب الارناؤوط، دار الرسالة، بيروت، ط3، 1998. ت676هـ/1277م

33. *المقاصد*، مطبعة الجفان، ط2، 1414هـ/1993.

34. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، *المسند الصحيح المختصر*، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ت261هـ/874م

- الهروي،علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا1014هـ/1605م): شرح الشفا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ج2ص510.

المراجع:

35. حسين الذهبي ،محمد السيد ت ، *تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره* ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة. 1398هـ/1977م

36. خطار ، يوسف: *الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية*، المركز العربي، دمشق، 1418هـ/1997م

37. الخطيب، علي: *اتجاهات التصوف*، دار المعارف، القاهرة، 1404هـ/1983م.

38. الشريف ، مصطفى: كمال *رسالة وحدة الوجود*، مكتبة بغداد، بغداد.

39. الصابوني ، محمد علي، *صفوة التفاسير*، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1418هـ/1997.

40. عيسى، عبد القادر: *حقائق عن التصوف*، مطبعة البلاغة، حلب، ط 2، 1390هـ/1970م.

41. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد *المنقذ من الضلال*، دار الكتب الحديثة، القاهرة. 505هـ/1111م

42. الفيومي ، محمد ابراهيم: *ابن عربي*، دار المصرية، القاهرة، 1418هـ/1997.

43. الكردي، محمد امين : *تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب* ، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1414هـ/1993م.

44. بناني، محمد: *مدارج السالكين إلى ملك الملوك*، دار أبو حنيفة، طرابلس.